الطواعين

في الأدب العربي

— ٤ —

بقلم كاتب كبير معروف

وللربعي ابي الحسن الخياط :

الله الطف صنعاً حين يسر لي من لطف صنعك تيسيراً لما عسرا
وحاجة نمت عنها بات يكلؤها يقظان كالعين تلقى عنده الا ثرا
ماحاجة هي اولى ان تفوز بها من حاجة مبحتها عينه نظرا

* * *

بشار :

فضحت جودها بطول مطال حالفته وآفة الجود مطل

وله :

لعمري لقد اجدى علي ابن برمك وما كل من كال الغنى عنده يجدي
حلبت بشعرى راحتيه فدرتا سماحاً كما در السحاب على الرعد

كان بشار بن برد قد وفد على خالد بن برمك بفارس فامتدحه فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأبطأت عليه فقال لقائده قف بي على طريق خالد الى « الجمعة » ففعل فلما مر اخذ بعنان فرسه وقال :

اظلت علينا منك يوماً سحابة اضاءت لنا برقاً وابطا رشاشها
فلا غيمها يجلى فييأس طامع ولا غيثها يأتي فتروى عطاشها

فأقسم خالد الا يبرح مكانه حتى يؤتى بها فأتى بها فأخذها بشار وانصرف .

عبد الله بن طاهر :

طوت وصلها من بعد ماشرت لنا امانى « وعد » طال منها مطالها
وبانت كما بان الشباب وخلفت عقابيل حزن ليس يرجى اندمالها

قال « الموبذان » الفارسي : الوعد السحابة والانجاز المطر »
قال « الزهري » حقيق على من اورق « بوعد » ان يثمر بفعل
وقال المغيرة : « من اخر حاجة فقد ضمنها »
على هذا ومنواله تنسج برود المجد وتبنى صروح المكارم والعربي ديدنه الوفاء وشيمته انجاز الوعد ؛ وانه ليرى المعونة في سبيل قضاء الحاجات من السجايا الكريمة والمكارم الغراء وانه لمن الخير ان تسعى سعي جاد لمن امل فيك خيراً فهو آمن في سربه وانت تقاسي العناء حتى تنجز ماوعدته به .

ولبعضهم :

اتيت ابن وهب ابتغي فضل عرفه وما زال حلو المنع حلو المذاهب
فأصفحني عن حاجتي بطلاقة سلوت بها عن منفسات الرغائب

وهذا ، كما ترى ، جميل وحسن ؛ فالصفح محمود ؛ والتصريح بالمنع مع لين الجانب وحسن البشر وابداء العذر كل ذلك يقوم عند العافي مقام العطاء والوفاء .

وقال ابو الحسن الربعي :

ما كان امس فقد فات الزمان به وما يكون غداً في الغيب موعود
وبين ذينك وقت انت صاحبه في حالتيه فمذموم ومحمود

وله :

وغد وبعد غد يمضونها عدة تغيب والغيوب لها نبا
وحوادث الايام اكثر عبرة من ان يحيط بها القياس فتحسبا

وقال ابن قيس الرقيات في مصعب :

يتقي الله في الامور وقد افلح من كان همه الاتقاء

بشار :

طال الثواء على تنظر حاجة شمطت لديك فمن لها بخضاب ؟

كان بشار بن برد استأذن على داود بن يعقوب فلم يأذن له فانصرف وهو ينشد :

طال الثواء على رسوم المنزل !

فرفع صاحب الخبر ذلك الى يعقوب ، فوجه اليه عنه :

فاذا تشاء أبا معاذ فارحل !

وهذا رد جميل ، وقول [لا] ابتداء هي واجدى من قولك [نعم] ثم خلف ملازم لما وعدت ! . . .

ويقول الحريش بن هلال :

متى ماقل يوماً لطالب حاجة نعم ، امضها قدماً وذلك من شكلي
وان قلت [لا] بينها من مكانها ولم اوذه فيها بجر ولا مطل

وللبخلة الاولى اقل ملامة من الجود بدءاً ثم تثنيه بالبخل

ولبعضهم :

مواعيده تترى وغايته خلف وحاضره فذ وغائبه الف !

قالت الحكماء : « للمعروف خصال ثلاث : تعجيله وستره وتيسيره ، فمن اخل بواحدة منها فقد بخس المعروف حقه وسقط عنه الشكر »

وفصل الخطاب في هذا لصاحب الرسالة الأعظم (ص) فهو القائل : من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤونة الناس عليه فان لم يقم بتلك المؤونة عرّض النعمة للزوال .

قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليهما سلام الله :

« ان الله خلق خلقاً من رحمته برحمته لرحمته ؛ وهم الذين يقضون الحوائج للناس فمن استطاع منكم ان يكون منهم فليكن »

قال ابن المبارك :

لأن اقضي حاجة لأخ لي احب الي من عبادة سنة قالت الحكماء : « من تمام كرم المنعم التغافل عن حجته والاعتراف بالفضيلة لشاكر نعمته »

قال بشار :

برقت لي حتى اذا قلت جادت اقلعت عن جهامة تستمر

تركتني وما اؤمل منها كالمرجي سحابة لا تدر

ايها البارق الذي ليس يجدي قد عرفناك فالتمس من تغر !

وله :

يا جامد القول ولم يبله سبقت بالسيل مجيء السحاب

دع حسن قول وانتظر فعله يثني على اللقحة ما في العلاب

ولمالك الاشتر رحمه الله :

بقيت وفري وانحرفت عن العلا ولقيت اضيافي بوجه عبوس !

ولبعضهم :

فلا تغترر برواء الرجال وما زخرفوا لك اوموهوا

فكم من فتىً يعجب الناظرين له ألسن وله أوجه

ينام اذا حضر المكرمات وعند الدنية يستيقظه !

وللشريف الرضي :

لا تجعلن دليل المرء صورته كم مخبر سمج من منظر حسن

* * *

ان الصحائف لا يغريك ناطقها نقش الطوابع موشوماً على الطين

ولبعض الشعراء :

متى ما يقل لا يخلف القول فعله سريع الى الخيرات غير قطوب

النجاشي :

اني امرؤ قل ما اثني على رجل حتى ارى بعض ما يأتي ومايذر

لا تحمدن امرءاً حتى تجربه ولا تذمنّ من لم يبله الخبر

ابو الحسن علي بن جيش الشيباني :

وليس صديقي بالذي استريبه فيكدي واستعدي اليه ولا يعدي

ولا بالذي ان جئته في ملحة اقم فلم يبلغ مدى الوسع والجهد

ولكن صديقي من اذا ما عرفته رعاني على قرب من الدار أو بعد

ابو السفاح بكير بن معدان :

يا فارساً ما مثله فارس موطأ البيت رحيب الذراع

قوال معروف وفعاله عقار مثنى امهات الرباع

لا يخرج الاضياف من بيته إلا وهم منه رواء شباع

فما اروع قوله [وهم رواء شباع] وليس صاحب الحاجة إلا ظامئاً جائعاً وقضاؤها ري وشبع ، والأيام مزارع ، فما زرعت فيه حصدته ؛ تلقى بالوفاء وفاء وبالخلف خلفاً وبالصنيع نظيره ومماثله . والصدق في القول والفعل فضيلة . وهو شعار ذوي الأحساب والمروءات . قال اكثم بن صيفي : (انما انتم اخبار فطيبوا اخباركم ولهذا المعنى اشار الطائي فقال :

وما ابن آدم إلا ذكر صالحة او ذكر سيئة يسري بها الكلم

أما سمعت بدهر باد امته جاءت باخبارها من بعدهم امم

ولقد ظلت « مواعيد عرقوب » مثلا ذميما ووصمة تنطبع على جبين كل من سار على نهج عرقوب !!

قال بعض الشعراء :

اذا لم ارد تعجيل صاحب حاجة منعت وبعض المنع خير من المطل

ولكنك يا صاحب الوعد :

وعدت ولم تكره واخلفت طائماً لعمري لقد بالغت في البخل والجهل

وقال ابن الزبرقان :

اخوك الذي لا ينقض الدهر عهده ولا عند صرف الدهر يزور جانبه

* * * *

« يتبع »